١ يو ٤: ٢٠
"مَن لا يحبُّ أخاه وهو يراه
لا يستطيع أن يحبَّ الله وهو لا يراه"

الأب أندره رزق الله
مجاز في العلوم البيبليّة

مدخل

قبل الشروع في النظر إلى ١ يو ٤: ٢٠ مباشرة، أجد من الضروريّ أن نضع أنفسنا في الإطار العامّ للرسالة لتبيان أبعاد الموقف المعلن في الآية المذكورة.

يتَّفق الشرَّاح على أنَّ رسالة يوحنّا الأولى موجَّهة إلى جماعة مسيحيَّة كانت تمرُّ بأزمة داخليَّة. لا نستطيع أن نحدِّد ماهيَّة هذه الأزمة، فالاجتهادات كثيرة، لكن، من الواضح أنَّ هناك فئة تدَّعي المعرفة، وتتكبَّر على الآخرين، وتحسب ذاتها بريئة من أيَّة خطيئة. من هنا، نرى هجومًا قويًّا من صاحب الرسالة على هذه الفئة، فلا يخفِّف من التعابير القاسية ضدَّهم بل يهاجمهم دون هوادة. يقول عنهم أنَّهم:

- خوارج عن الجماعة، وهم ليسوا منها، وإلاَّ لبقَوا فيها (٢: ١٩).
- لا يمارسون المحبَّة في علاقتهم مع الآخرين (٢: ٩–١١؛ ٤: ٢٠–٢١).
- ينكرون ناسوت المسيح: هو ليس إنسانًا (٤: ٢–٣؛ رج ٢: ٢٢؛ ٥: ٥–٦).

- تحالفوا مع من يناقضون الإيمان، أي "العالم" (٤: ٥-٦).
- أدوات إبليس (٣: ٨).
- مسحاء دجّالون (٢: ١٨-٢٣).

يتوجَّه صاحب الرسالة إلى جماعة تعرَّضت "لخضَّة" قويَّة، وصار الكثير منها يتساءل عن الإيمان الصحيح بعد خروج قسم منها وانفصالهم عنها.

الهدف المحدَّد للرسالة هو ذو ناحيتين:

- البرهان أنَّ ما يقوله المنشقُّون مشكوك فيه، وما يؤمنون به يؤذي الإيمان الصحيح.
- ترسيخ إيمان الإخوة الباقين الذين لم ينفصلوا عن الجماعة، والتأكيد على أنَّ إيمانهم هو الصحيح، ما يعطيهم قوّة للمحافظة عليه في حال تعرُّضهم مرَّة أخرى لشيء من هذا القبيل.

١ يو ٤: ٢٠

إِذا قالَ أحد: "إنّي أُحبُّ الله"، وهو يُبغِضُ أخاه، كان كاذبًا،

لأنَّ الذي لا يحبُّ أخاه وهو يراه، لا يستطيعُ أن يُحبَّ اللهَ وهو لا يراه.

تنقسم هذه الآية إلى قسمين:

- الأوَّل هو إعلان عن المحبَّة الكاذبة التي تعلن عن إيمانها بالله ولا تحبّ القريب.
- والثاني هو تبرير هذا الإعلان، إذ من لا يحبّ القريب المرئيّ لا يستطيع محبّة الله غير المرئيّ.

الجزء الأوَّل: إذا قالَ أَحد: "إنّي أُحبُّ اللهَ"، وهو يُبغِضُ أخاه، كان كاذِبًا.

يعلن كاتب الرسالة حُكمًا قاسيًا على كلِّ من يفصل محبّة الله عن محبّة القريب، فيصفه بالكاذب.

نلقي الضوء في ما يلي على هذه العناوين الثلاثة كما جاءت في الرسالة:

١- **محبّة الله:** إنَّ من يحبُّ الله

أ) يكون في شركة معه (١: ٣ . ٦)

ب) يعمل بكلامه (٢: ٢؛ ٣: ٢٢-٢٤؛ ٥: ٣)

ج) يعمل بوصاياه (٢: ٥)

د) يترك كلمة الله تثبت فيه (٢: ١٤ و ٢٤-٢٥)

ه) لا يحبّ العالم وما فيه (٢: ١٥)

و) لا يقع في الخطيئة (٢: ١؛ ٣: ٤ . ٩)

ز) يثبت في المسيح (٢: ٢٧؛ ٣: ٦)

ح) يميِّز الروح القدس (٤: ١-٦)

ط) يثق بالله (٥: ١٤)

ي) ويثق بالمسيح (٢: ١-٢)

ك) يتعرَّف على المسيح (٢: ٢٩؛ ٣: ١-٢)

ل) يتشبَّه بالمسيح (٣: ٣ و ٧)

م) فيحبّ مثله (٣: ١١-١٨؛ ٤: ٧-٢١)، ليكون في النور لا في الظلام (٢: ٩-١١)

ن) ويحبّ المسيح (٥: ١).

نرى ممّا ورد أنّ المحبَّة التي يكنُّها الإنسان لله هي فاعلة، وليست شعورًا أو

أفكارًا يتداولها ويتحدَّث بها. هي فاعلة لأنَّها تُلزِم الإنسان في أمور شتَّى تطال كافّة نواحي حياته: علاقته مع نفسه ومع الله ومع الإخوة.

٢- محبّة الأخ

من الملاحظ، لمن يقرأ هذه الرسالة، أنَّ كاتبها لا يشمل بالمحبّة سائر البشر بل يحصرها بالمؤمنين، ممَّا يبيِّن لنا مدى التركيز على المشكلة؛ فالمنشقُّون أظهروا كرهًا للآخرين من إخوتهم بالإيمان، ممَّا دفع الكاتب ليتكلَّم على هذه المشكلة ويتوسَّع فيها.

فما هي إذًا محبَّة الأخ في هذه الرسالة؟

أ) هي سير في النور (١: ٧)

ب) حفظٌ للوصايا (٢: ٣).

ج) أن يكون المؤمن "في الحقّ" (٢: ٤)

د) يكون المؤمن "مولودًا من الله" (٣: ٩)، وابنًا لله (٣: ١)

ه) المحبَّة هي علامة الانتقال من الموت إلى الحياة (٣: ١٤)

و) علامة معرفة الله (٤: ٧)

إنّ الحياة الأخلاقيّة مترسِّخة في المحبَّة التي تجد أصلها في الله نفسه لأنّ الله محبّة (٤: ٨ و١٦).

وما محبَّة الإنسان لأخيه إلا التشبُّه بالله؛ فهو أحبّ بالمسيح (٤: ٩)، آخذًا المبادرة (٤: ١٠)؛ من هنا التشبُّه به يدفع إلى محبّة الإخوة (٤: ١١ . ١٩)، ويؤكِّد محبَّة المؤمن لله (٤: ٢٠؛ ٥: ١).

٣- الكذب

ترِدُ هذه الكلمة خمس مرَّات في الرسالة:

أ) **١: ١٠: إذا قلنا أنَّنا ما خطئنا، جعلناه كاذبًا، وما كانت كلمته فينا.**

ب) الادِّعاء بالبرارة يجعل من الله كاذبًا، ما يعني أنَّ العكس صحيح؛ فإذا كان الله صادقًا فنحن خطأة، والله صادق هو.

ج) **٢، ٤: من قال: "إنِّي أعرفه"، وما عمل بوصاياه، كان كاذبًا، لا حقَّ فيه.**

د) وهنا نجد تكملة لما سبق؛ فمن لا يعمل بالوصايا، أي لا يطيع، فهو مدَّعٍ لمعرفة الله لأنَّ الله يوصي المؤمن؛ فكيف يكون المؤمن صادقًا عندما لا يعملُ بوصايا الله؟

ه) **٢، ٢٢: من هو الكذَّاب سوى من ينكر أنَّ يسوع هو المسيح.**

هذا هو المسيح الدجَّال الذي ينكر الآب والابن معًا.

نكران مسيحانيّة يسوع وبنوّته للآب ينسفان الإيمان المسيحيّ المتوارث من الشهود المعاينين لكلمة نفسه بما سمعوه منه، ورأوه بعيونهم، وتأمَّلوه، ولمسوه بأيديهم، لأنَّ الحياة تجلَّت ورأوها، وهم يشهدون لها، ويبشِّرون بالحياة الأبديَّة التي كانت عند الله وتجلَّت لهم (١: ١–٣).

أ) ٤: ٢٠ هي الآية التي نعالجها. هو كاذب من لا يحبّ أخاه ويدَّعي محبّة الله.

ب) **٥: ١٠ب: من لا يصدِّق الله جعله كاذبًا، لأنَّه لا يؤمن بالشهادة التي شهدها لابنه.**

هي عودٌ على بدءٍ وتوسُّعٌ أيضًا؛ فكما كان المرء يجعل من الله كاذبًا، إن ادَّعى بأنَّه لا يخطَأ، فلا تكون كلمة الله فيه (رج ٣ أ)؛ هكذا يجعل منه كاذبًا، منكِرًا مجدَّدًا هذه الكلمة التي بها يشهد الله لابنه.

الجزء الثاني: لأنَّ الذي لا يُحبُّ أخاه وهو يراه، لا يستطيعُ أن يُحِبَّ اللهَ وهو لا يراه.

يستعمل الكاتب الفعل: oraw سبع مرَّات في رسالته.

ففي ١: ١ يؤكِّد على رؤيته المباشرة بعينيه للذي كان من البدء، وهو كلمة الحياة. ثمَّ في ١: ٢ يؤكِّد رؤيته للحياة التي تجلَّت، فيشهد لها الآن، ويبشِّر بالحياة الأبديَّة التي كانت عند الآب، والتي تتجلَّى له (الشاهد) الذي يؤكِّد أيضًا في ١: ٣ على هدفه ممَّا يبشِّر به بعدما رأى وسمع، وهو شركة المؤمنين الذين يتوجَّه إليهم معه كما هو في شركة مع الآب وابنه يسوع.

وعندما يتوسَّع بمداخلته، يتكلَّم على محبَّة الله للبشر بحيث يجعل الله من البشر أبناءً له (٣: ١). لكنّ هذه الحقيقة غير مرئيَّة الآن، لكنَّها ستكون كذلك عند ظهور المسيح؛ عندئذ "سنراه كما هو" (٣: ٢). يتوسَّع الكاتب بعدئذ ليدعو إلى التطهُّر والتشبُّه بالمسيح، فيثبت فيه المؤمن ولا يخطَأ، وإلاَّ فهو "لا يكون رآه ولا عرفه" (٣: ٦).

ونصل إلى آ ٤: ٢٠ حيث يرد الفعل مرَّتين.

للناظر في القاموس اليونانّي، يجد معنى الفعل أنَّ الأمر يتخطَّى الرؤية المباشرة كما في ٤: ٢٠، ليطال النظر والتحديق والتمعُّن كما في ١: ١، ٢، ٣.

تعليق على الآية

في القسم الثاني، يربط الكاتب بين المحبَّة ورؤية الآخر (الله أو الأخ). ويؤكِّد على ضرورة الترابط بين هاتين المحبَّتين في الآية اللاحقة (٤: ٢١)، عندما يعلن أنَّ "وصية المسيح لنا هي: من أحبَّ الله أحبَّ أخاه أيضًا".

فما هو هذا الرابط؟

هناك كلمة إلهيَّة صادقة أتت لتشهد لله أمام الإنسان لتُشركه في الحياة الإلهيَّة (١: ٣)، وقد رآها الكاتب مع غيره من الشهود، وراح يبشِّر بها ليكون الفرح كاملاً عندما يصير شريكًا من يتلقَّى هذه البشارة (١: ٣).

هذه الكلمة صادقة، لها يشهد الروح (٥: ٦)، والروح هو الحقّ (٥: ٦).

لقد عايشها الكاتب، وتأمَّل بها (١: ١)، وآمن فصار من الله (٤: ٦)، وهكذا كلّ من يسمع له يعرف الله، ومن لا يكون من الله لا يسمع له (٤: ٦).

تحمل هذه الشهادة الحقيقة التي على كلّ مؤمن أن يعتنقها، فيكون ممَّن يعرفون الله، وما هي كلمته، وما هي وصاياه (أنظر الجزء الأوَّل ١). وهكذا يجعل من الله صادقًا لا كاذبًا، ويكون شريكًا له.

فإذا كان الله صادقًا وقد أوصى بالمحبَّة (٤: ٢١) فكيف يستطيع من يدَّعي معرفة الله ألاَّ يحبَّ أخاه؟ هو كاذب ويجعل الله كاذبًا.

ومن "قال إنَّه في النور وهو يكره أخاه، كان حتَّى الآن في الظلام" (٢: ٩)، لأنَّ من يكره أخاه فهو في الظلام (٢: ١١)، ومن لا يحبّ بقي في الموت (٣: ١٤)، ومن أبغض أخاه فهو قاتل (٣: ١٥). ويضيف الكاتب: "بهذا يتبيَّن أبناء الله من أبناء إبليس: من لا يعمل البرَّ لا يكون من الله، ولا يكون من الله من لا يحبّ أخاه" (٣: ١٠).

من كلّ ما جاء نرى أنّ الكاتب يضع أمامنا هذه المعادلة: من لا يحبّ أخاه هو خاطئ، يعيش ويسير في الظلام، ويبقى في الموت، وهو قاتل وابن لإبليس.

هي معادلة قاسية جدًّا لا ترحم إلاَّ من طلب الغفران (رج ٢: ١–٢).

صحيح أن الكلَّ لم يروا ولم يعاينوا كلمة الله الذي أتى إلينا، لكن نحن على يقين أنَّنا نعرفه إذا عملنا بوصاياه (٢: ٣). والادِّعاء بمعرفته دون العمل بوصاياه هو كذب (٢: ٤). ومن عمل بكلامه اكتملت فيه محبَّة الله (٢: ٥).

باختصار: جاء الكلمة، فرآه الكاتب مع غيره. بشَّروا به ونقلوا وصاياه. من آمن وعمل بهذه الوصايا صار ابنًا لله ولو لم يَرَه. ومن عمل العكس جعل من الله كاذبًا، لكنّ الله حقٌّ، فالكاذب هو من يجعل من الله كاذبًا.

والوصيَّة التي يُلِحُّ الله عليها هي محبَّة الأخوة. من عمل بهذه الوصيَّة كان من الله وكان في الله. والحقيقة الملموسة هي أنَّ الأخ مرئيٌّ والله غير مرئيّ؛ فكيف يستطيع الواحد الادِّعاء بمحبَّة من هو غير مرئيّ، ولا يحبّ من هو مرئيّ؟ فمعرفة الغير مرئيّ تبدأ بتطبيق الوصيّة، وما الرؤية الأخيرة إلاَّ تحقيق هذه المعرفة المجتزأة (٣: ٢)، فتصير الرؤية كاملة "لأنَّنا سنراه كما هو" (٣: ٢)؛ ومن هو؟ هو محبَّة (٤: ٨ و١٦).

كلمة أخيرة

يربط الكاتب المحبّة بالوصيّة: فهل هي أمر من الأوامر على المرء تنفيذه؟ أم هو خيار يقوم به المؤمن؟ هل الوصيّة إرغام أم شيء آخر؟

ليست الحياة المسيحيّة سلسلة من الوصايا، كما كان يفهمها اليهود آنذاك (أوامر على المؤمن أن يعيشها)، بل هي حياة على "مثال المسيح" (٢: ٦)؛ فوصيّة الله هي أن "نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وأن يحبَّ بعضنا بعضًا كما أوصانا" (٣: ٢٣).

فوصيّة المحبّة هي جديدة – قديمة، وهي نور لمن يعمل بها (٢: ٧–١١).

وهي "رسالة" حياة؛ فمنذ "البدء" سمعتموها (٣: ١١). وماذا كان في البدء؟ كانت الحياة (١: ٢) التي تجلَّت، فعاينوها ورأوها ولمسوها وسمعوها (١: ١). هذه الحياة تجعل منَّا أبناء لله (٣: ١)؛ فالمحبَّة تنقلنا من الموت إلى الحياة (٣: ١٤).

المحبَّة هي إلهيَّة، فيها يسبق الله البشر؛ فهو أحبَّهم أوَّلاً بأن أرسل ابنه كفّارة عن الخطايا (٤: ١٠). هي مجَّانيَّة إذ "نحن ما أحببنا الله، بل هو الذي أحبَّنا" (٤: ١٠).

ولا يظنَّنَّ أحد أنَّه قادر بقواه ودون المعونة الإلهيَّة أن يحبَّ، فالمحبَّة من الله (٤: ٧). من محبّته يستطيع الإنسان أن يحبّ.

المراجع

CHARUE A., *Première épître de s. Jean*, *La Sainte Bible,* t. XII, dir. L. PIROT, A. CLAMER, Letouzay et Ané, Paris, 1951, p. 548-549.

COTHENET E., *La première épître de Jean*, *Le Nouveau Testament*, vol. 4, dir. A. GEORGE et P. GRELOT, Desclée, Paris 1977, p. 58- 87.

KYSAR R., *Epistles of John*, *Anchor Bible Dictionary*, vol. 3, Doubleday,1992, p. 900-912.

MOLLAT D., « S. Jean l'évangéliste, Doctrine spirituelle des épîtres », *DS*, t. VIII, Beauchesne, Paris, col 240-246.

MORGEN M., *Les dernières épîtres, Hébreux – Jacques – Pierre – Jean – Jude,* Centurion, Paris 1997, p. 191-254.

MOUROUX J., *L'expérience chrétienne, Introduction à une théologie*, Aubier, Paris, 1952, p. 166-188.